اليك مرة أخرى أو لا . تذكرى أمك دائماً . وهذا أحسن ما يمكن أن أقوله لك . ولقد عهدتنى سعيدة لشعورى بتأدية الواجبات الملقاة على عاتقى ، ولاستطاعتى خدمة الذين يعانون آلام الحياة ومساعدتهم ؛ وهل الحياة إلا هذا ؟ لقد وجدتنى أذعن للقدر إذ يسوقنى الى الأسر ، ولست مجرمة أستحق هذا ، إلا أن الذكرى الطيبة والماضى الحسن والأعمال الجليلة هى كل عزائى ، ومثلها يستطيع المرء أن يحتمل مساوئ الحياة وتقلبات القدر . ان ما أتمناه هو ألا يقدر لك مثل ما قدر لى من المشاق والمتاعب وهناك مالو استطعت اتباعه تفاديت به قسوة الحياة وحميت نفسك من مساوئها ، ألا وهو العيش المنتظم الذى لا فراغ فيه ؛ فهو حارس من كل خطر ؛ وهو حاجة تبحث عنها النفس وحكمة يسعى اليها العقل ، ليكرن صاحبهما جاداً محترماً فى حياته . فكونى عند حسن ظن أبويك بك ، فقد تركاك مثلا جميلا ، ولو استطعت أن تستغلى هذا المثل للوصول الى ناحية الكمال أمكنك أن تحيى حياة نافعة) .

زارتها فى سجنها يوماً هنريت كانيت ، وطلبت اليها أن تبدل لباسها وتسرع الى الهرب ، وتبقى هى فى مكانها ، إلا أن مانون رفضت طلب صديقتها فى إباء وشمم ، قائلة لها (ولكنهم يقتلونك ان فعلت ذلك) وبعد خمسة أشهر من سجنها استدعيت للمحاكمة ، وكيلت لها التهم الشنعاء ، فوقفت تدفعها عن نفسها بأكية ساخطة . وفى اليوم التالى فى ٨ نوفمبر سنة ١٧٩٣ سيقت الى المقصلة ، ولما رأت الشجاعة تخون جلادها حثته على أن يؤدى واجبه ، وقد ظهرت وهى على شفا حفرة الموت نبيلة فى لباس أبيض ناصع يدل على طهرها . وشعرها الأسود الفاحم مرسل حتى وسطها ، ينبعث من عينيها البراقتين شعاع الشجاعة والنبل .

وبينما هى على درجات المقصلة اذ عنت لها أفكار فطلبت قرطاساً وقلماً لاثباتها ، إلا أن طلبها رفض . ولن نعرف بطبيعة الحال ماهية هذه الأفكار التى نادتها ساعة الموت فلم تتمكن من تلبيتها .

بعد أسبوع من اعدام مانون عثر رجل على جثة فتاة الى بعض الأشجار وقد امسكها بالشجرة سيف قد نفذ اليها من قلبه وعند قدمه ورقة خط عليها ما يأتى : (أنا رولان . لم أترك فرصة تمر دون اقتناصها فى سبيل اسعاد وطنى . أقدمت على ازهاق روحى لا من خوف ولا وجل ، ولكن احتجاجاً على اعدام زوجى . فرغبت عن الحياة التى دنستها الجريمة) .

حقاً ان هذه الصورة تمثل نهاية قاسية لفصل مزعج من فصول التاريخ الانسانى .

عبد الرحمن فهمى
ليسانسيه فى الآداب

فن التصوير عند العرب

للأستاذ محمود خيرت

ضرب العرب بسهم وافر فى الأدب والاجتماع والفلسفة والسياسة والفلك والكيمياء والطب وتخطيط البلدان وغير ذلك ، فكانت مدنيتهم رائعة لم ينكرها المنصفون من علماء الغرب الذى نقلها وبنى عليها

والى جانب هذه الفنون فن الزخرفة والعربيات « arabesques » التى يقوم أساسها على نبات عرف العرب كيف يبرعون فى تعديد أوضاعه الهندسية براعة أثارت إعجاب هؤلاء العلماء الذين شهدوا لهم أيضاً بعلو كعبهم فى فن الانشاء والعمارة كما تنطق به جوامع القاهرة وقصر الحمراء بالأندلس وغيرها مما يعد من أعاجيب الآثار .

نعم ، إن الطراز العربى غير مبتكر ابتكاراً لأنهم حين هبطوا الى مصر والأندلس ووقعت عيونهم على آثار الفن البيزنطى فيهما استخلصوا منه عنصراً لطرازهم ، وحسبهم أنه مع تصويره للروح العربية جمع بين القدرة والحسن والرشاقة .

وهكذا برهن العرب على مقدرتهم الفنية وعلى تسامحهم واحترامهم تلك الآثار فلم يعبثوا بها كما فعل « الانكوكلاست » أولئك النساك المتطرفون بآثار بيزنطة لما سيطروا على الحكم بها فى القرن التاسع وصدر القرن العاشر ، إذ قضوا على الفن المسيحى فهشموا تماثيله وشردوا فنانيه حتى قصد بعضهم الى اكس لاشابيل للخدمة فى بلاط الملك شرلمان .

تلك هي شهادة أولئك العلماء في العرب بالنسبة لفني الزخرفة والانشاء والعمارة ، ولكن الذي نعرضه اليوم هو ، هل زاول العرب أيضاً فن التصوير ، وهل برعوا فيه كما برعوا في غيره ؟ وهل كان من بينهم أساتذة مهرة كالذين ظهروا في أوروبا من عصر النهضة الى الآن ؟

أكثر الباحثين يذهبون الى أن التصوير كان محرماً على المسلمين ، وأن هناك أحاديث نبوية بهذا المعنى منها حديث : « ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » .

وقبل أن نطرق هذا البحث نلفت النظر الى مبلغ تبجح الغربيين بأنهم هم المنفردون بفن التصوير والأساتذة المبرزون فيه ، لأن فن قدماء المصريين ما كان ليتجاوز مجرد التخطيط ، على حين أنهم هم الذين اهتدوا الى فكرة الظلال بأنواعها مما جعلهم يخرجون الصور ناطقة بأصولها المأخوذة عنها . ولكنها دعوى تستوقف نظر الباحث هنيهة ، لأن الفرس لم يفتهم أيضاً وضع هذه الظلال [1] وكتبهم المصورة بمختلف دور الكتب شاهدة بذلك . بل إن مما لا يصح أن يفوتنا ما جاء بكتاب كليلة ودمنة بالصفحة ٦٤ طبعة سنة ١٩٢٤ الأميرية ، وهو : « ... كالصور الماهر الذي يصور على الحيطان صوراً كأنها خارجة وليست بخارجة ، وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة » مع أن هذا الكتاب ترجمه ابن المقفع عن نسخة فارسية ترجمت بدورها عن أصل هندي قديم كما يفهم مما جاء بصدر هذا الكتاب . واذن فالفضل الأول لابتكار الظلال التي هي الوسيلة كلها الى استنطاق الطبيعة ، إنما يرجع الى الشرق وحده ، لأن الوصف الذي نقلناه عن كليلة ودمنة لا يخرج عنه أحدث تعريف للرسم عند الغربيين ، وهو إيجاد أنجاد وأغوار على سطح أملس بحيث اذا مررت يدك من فوقه لا ترى لذلك أثراً .

ولقد كان انفراد الشيعيين على ما يظهر دون السنيين بهذا الفن مما ساعد على الاعتقاد بتأثير تلك الأحاديث الشريفة وفهمها على غير حقيقتها .

وأغلب الظن أن هذه الأحاديث لم تقصد إلا التماثيل مما كان شائعاً في الجاهلية بشيوع الوثنية وقضى الاسلام عليها لتنافرها مع أصول التوحيد . ومما يجعل هذا الفهم أقرب الى الحقيقة ما رواه المسيو ال . جاييت في كتابه عن الفن الفارسي في باب التصوير من أنه كان بدمشق والقاهرة وبغداد مدارس راقية خاصة بالتصوير كان يقصدها الطلاب من كل صقع ، وأنه كان هناك أساتذة بارعون يلقنونهم بها أصول هذا الفن كانوا محل إعجاب الخلفاء والسلاطين والوزراء ، وكثيراً ما زينوا لهم قصورهم بصور حائطية (Fresques) .

ويؤيد هذا ما جاء بخطط المقريزي بالصحيفة ٣١٨ من الجزء الثاني طبعة بولاق فقد قال عن جامع القرافة (جامع الأولياء في عهده) إن : « موقعه كان يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافر ، بنته السيدة المعزية سنة ٣٦٦ ، وهي أم المعز بالله نزار ولد المعز لدين الله على نحو بناء الجامع الأزهر ، وأن بابه الذي يدخل منه ، ذا المصاطب الكبير الاوسط ، تحت المنار العالي الذي عليه ، مصفح بالحديد الى خط المقصورة والمحراب من عدة أبواب عدتها أربعة عشر باباً مربعة مطوبة الابراب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودي رخام ثلاثة صفوف ، وهو مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ ، وفيه مواضع مدهونة ، والسقوف مزوقة ملونة كلها ، والحنايا والعقود التي على الجنب مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلم المزوقين شيوخ الكتامي والنازوك . »

ثم قال :

« وكان قبالة الباب السابع من هذه الأبواب قنطرة قوس مزوقة في منحنى حافتيها شاذوران مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر ، وخضر وزرق وصفر ، اذا تطلع اليها من وقف في سهم قومها شائلاً رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه من خشب كالقرنص . واذا أتى الى أحد قطري القوس نصف الدائرة ووقف

(١) وهذا وصف لايوان كسرى وصف فيه البحتري واقعة مصورة :

وكأن الجرماز من عدم الأنـ ـس وأخلاله بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن تجانب قوم لا يشاب اليأس فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على أصـ ـفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وتمايض جرس
من مشيح يرمي بعامل رمي وملیح من السنان بترس
تذب العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس
يقتلي فيهم اغترابي حتى تتقراهم يداي بلمس

(والجرماز العلم الكبير)

عند أول القوس منهما ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحاً لاتنوء فيـه وهذا من أفخر الصنائع عند المزوقين . وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلم ، وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون . وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز فى أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن ، وكان كثيرا ما يمرض بينهمـا ويفرى بعضهما على بعض لأنه كان أحب ما اليه كتاب مصور ، أو النظر الى صورة أو تزويق . ولما استدعى ابن عزيز من العراق أفسده ، وكان قد أتى به فى محاربة القصير ، لان القصير قد يشتط فى أجرته ويلحقه عجب فى صنعته وهو حقيق بذلك لأنه فى عمل الصورة كابن مقلة فى الخط . وابن عزيز كابن البواب وقد أمعن ذلك فى الكتاب المؤلف فيه ، وهو طبقات المصورين للنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس

وكان البازورى قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز ، فقال عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ، فقال القصير ، ولكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط ، فقال هذا عجب ، وأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى صورة الحنية ، وتلك ترى كأنها خارجة من صورة الحنية . . . . فاستحسن البازورى ذلك ، وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب .

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى صورة يوسف عليـه السـلام فى الجب وهو عريان ، والجب كله أسود اذا نظره الانسـان ظن أن جسمه باب قد دهن بلون الجب . وكان هذا الجامع من محاسن البناء . وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس بهجة تروق وتشوق . »

وقد أشار أيضاً الى اللوح الحائطية التى من تصوير أبى بكر المحتسب سنة ٣٦٥ فى أول عهد الدولة الفاطمية ، وكذلك الى صور احمد بن يوسف المشهور بالأوسطى (أى الفنان) وكذلك صور محمد بن محمود . وانه كان فى عهد السلطان بيبرس رجل اسمه ابن دايا كان يشتغل بالسياسة والتصوير ، حتى أنه لما عين بأمر السلطان سفيراً لدى بركه الأمير المغولى حمل اليه ثلاث لوحات من عمـله تمثل مواسم الحج بمكة

نخرج من رواية المقريزى هذه بأن فن التصوير لم يكن متداولاً عند الفرس وحدهم ، بل عند العرب أيضاً ، وأن أساتذته كانوا مهرة تدل آثارهم كالشازوران الذى بأحد طرفى القنطرة والراقصتين ، على المامهم بفن المنظور والتأليف « Composition » كما فى صورة يوسف عليه السلام وهو فى الجب . وان هؤلاء المصورين وان كانت أكثر آثارهم حائطية ، الا أنهم فكروا أيضاً فى التصوير فوق لوحات مستقلة كما رأينا عند الكلام على ابن دايا ، وان هؤلاء الفنانين كانت لهم مكانة فى نفوس السلاطين والوزراء ، كما أن العناية بآثارهم بلغت حداً بعيداً ، حتى أنها كانت تزين بها الجوامع مما يدل على أنهم كانوا لا يأخذون بحرفية الاحاديث ، ولكن بالغرض منها

أما كتاب ضوء النبراس الذى بحث فى سيرة أولئك المصورين فلا ندرى اذا كان من وضع المقريزى أو وضع غيره ، لأن ذلك غير واضح فى عبارته ، وعلى كل حال فان فقدان هذا الكتاب مما يدعو الى الأسف الشديد . (١)

محمود خيرت
بقسم قضايا المالية

(١) لقد تفضل حضرة صاحب السعادة شيخ العروبة احمد زكى باشا بمساعدتى فى هذا البحث اذ لولاه لما اهتديت الى موضع هذا الموضوع من خطط المقريزى

أبو على عامل أرتست

مجموعة قصص مصرية

تأليف

الأستاذ محمود تيمور

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة وثمنه خمسة قروش خلاف أجرة البريد